

سورة الكهف (الآيات: 6 - 9)

2

ك

أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف مظاهر حرص النبي ﷺ على هداية الناس.
- 2- أن أكتشف حقيقة الحياة الدنيا والغاية من خلق الإنسان.
- 3- أن أحسن عملي ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ولا أغتر بزينة الحياة الدنيا.

تمهيد

بعد أن بيّنت الآيات السابقة وظيفة كتاب الله المنزل، وهي بشارة المؤمنين، وإنذار الكافرين، جاءت هذه الآيات تذكر حال النبي ﷺ في دعوة الناس، وتبين له حقيقة الحياة الدنيا، معلمة له بعجيب خبر فتية الكهف.

فكيف كان حال النبي ﷺ في دعوته؟ وما حقيقة الدنيا وغايتها؟ ولم كان خبر أهل الكهف عجيباً؟

الآيات

قال الله تعالى: ﴿قَلَعْنَا مَا بَلَغَ نَفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثِرِهِمْ، إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقَلْعِ التَّحْدِيثِ
أَسْبَغًا ۖ﴾ 6 ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَىٰ آلِ زُرِيزَةَ لَلَّذِينَ لَبَّوْهُمْ أَتَيْتُهُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ﴾ 7
﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَىٰ قَاعٍ صَعِيدًا مَّتْرَافًا ۖ﴾ 8 ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ
كَانُوا مِنَّا عَجَبًا ۖ﴾ 9 [الكهف: 6 - 9]

الفهم

الشرح:

جُزْزاً: لا نبات فيها ولا منفعة.
أَسْبِئاً: حزننا.

استخلاص مضامين الآيات:

- 1- ما الحال التي وُصف بها النبي ﷺ في هذه الآيات؟
- 2- ما الغاية من جعل ما على الأرض زينة لها؟

التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

أولاً: حرص النبي ﷺ على هداية الناس:

هذه الآية تسلية للنبي عليه السلام؛ وذلك لما كان يلاقيه من العنت والحرَج الشديد والتبرم من إعراض كثير من أهل الجحود والاستكبار عن قبول دعوته، وكل ذلك من كريم خصاله وجميل خلاله، ولذلك وصفه الله تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ...﴾ [التوبة 129]. وقوله: ﴿وَلَعَلَّآ﴾ تقرير بمعنى الإنكار عليه أي: لا تكن كذلك، وقوله: ﴿بَلِّغْ نَفْسَكَ﴾ «الباع نفسه» هو مهلكها وجدا وحزنا على أمر مَّا. وهو كقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّآ بَلِّغْ نَفْسًا أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 2]. وأصل البخع الجهد يقال: بخعت لك نفسي أي جهدتها. وقوله: ﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ استعارة فصيحة، كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم.

وقوله: ﴿يَقْلَعُ الْحَدِيثَ﴾ أي: بالقرآن الذي نحدثك به، ومنه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: 22]. و﴿أَسْبِئاً﴾ نصب على المصدر - مفعول مطلق -، أو مفعول لأجله. قال الزجاج: و«الأسف» المبالغة في حزن أو غضب، ومنه قول يعقوب: ﴿يَأْسِئُ عَلَى يَوْسَفَ﴾ [يوسف: 84]، يريد يا حزنناه. و«الأسف» في هذا الموضع الحزن. وقال قتادة: هنا أسفاً غضباً، وهو

كقوله تعالى في سورة الزخرف: ﴿قَلَمًا أَهَاسَعُونَ إِنَّا تَتَفَعَّمُونَ مِنْهُمْ﴾ [الزخرف 55]، وقال مجاهد أسفًا جزعًا، وقال قتادة أيضا: حزنا، ومن هذه اللفظة قول الأعشى:

أرى رجلا منكم أسيفا كأنما *** يضم إلى كشحيه كفاً مخضبا

يريد: حزينا.

ثانياً: حقيقة الدنيا والغاية من تزيينها:

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّلَّذِينَ يَنبَلُونَ عَنْ رَبِّهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ﴾ الآية بسط في التسلية، أي: لا تهتم للدنيا وأهلها، فأمرها وأمرهم أقل بفنائها وذهابها، فإنما جعلنا ما على الأرض زينة وامتحان وخبرة، وهو بيان للغاية من خلق أنواع الزينة التي أودعها الله في هذه الأرض، فإنها امتحان وابتلاء واختبار للعباد ليعلم أيهم أحسن عملا فيها بصرفها في الطاعات. وفسر «ما» في قوله: ﴿مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ بأنه أراد ما عليها من الرجال، وقالت فرقة: أراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه، ونحو هذا مما فيه زينة، وقالت فرقة: أراد كل ما على الأرض عموماً، وليس شيء إلا وفيه زينة من جهة خلقه وصنعه وإحكامه. و﴿زِينَةً﴾ مفعول ثان أو مفعول من أجله، بحسب معنى «جعل».

وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال سفيان الثوري: أحسنهم عملاً، أزهدهم فيها. قال ابن عطية وكان أبي رحمه الله يقول: أحسن العمل: أخذٌ بحق، وإنفاقٌ في حق مع الإيمان، وأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والإكثار من المندوب إليه.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا جَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾، المراد بالصعيد وجه الأرض مطلقاً، وقيل: التراب خاصة، وقيل: الصعيد الأرض الطيبة، وقيل: الأرض المرتفعة من الأرض المنخفضة. وقال قتادة: الصعيد الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات. و«الجرز» الأرض التي لا شيء فيها من عمارة وزينة، فهي البلقع، يقال: جُرِزَتِ الأرض بقط أو جراد أو نحوه إذا ذهب نباتها وبقيت لا شيء فيها ولا نفع، وأَرْضُونَ أجزاز، قال الزجاج: والجرز الأرض التي لا تنبت. قال ابن عطية: «وإنما ينبغي أن يقول: التي لم تنبت».

والمعنى: يرجع كل ذلك ترابا. قال محمد بن إسحاق: إن ما عليها لفان وبائد، وإن المرجع إليّ، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها. قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : يهلك كل شيء عليها ويبيد.

وقوله: ﴿مَا عَلَيْنَا﴾ مفعول أول لاسم الفاعل ﴿لَجَالِقُونَ﴾ ومفعوله الثاني ﴿صَعِيداً﴾، و﴿جُزْأً﴾ نعت لقوله: ﴿صَعِيداً﴾ مؤول بمشتق، أي جازا، والوصف بالمصدر أبلغ منه باسم الفاعل لما فيه من الأصالة، لأنه أصل المشتقات.

ثالثا: إعلام الله نبيه ﷺ بخبر أصحاب الكهف:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ...﴾، سماهم ﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ نسبة إلى كهف معين، والكهف النقب المتسع في الجبل، وما لم يتسع منها فهو غار. وحكى النحاس عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال: الكَهْفُ الجبل وهذا غير شهير في اللغة. واختلف الناس في الرَّقِيمِ، فقال كعب: الرَّقِيمُ القرية التي كانت بإزاء الكَهْفِ، وقال ابن عباس وقتادة: الرَّقِيمُ الوادي الذي كان بإزائه وهو واد بين عصبان وأيلة دون فلسطين، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - أيضا: هو الجبل الذي فيه الكَهْفُ، وقال السدي: الرَّقِيمُ الصخرة التي كانت على الكَهْفِ، وقال ابن عباس: الرَّقِيمُ كتاب مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى، وقيل: من دين قبل عيسى.

وفيه أقوال أخرى منها: أنه لوح مكتوب، أو المراد به الكلب، أو المراد: البنيان والدواة. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرقيم: الكتاب. ثم قرأ: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ [المطففين: 9]. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما أدري ما «الرقيم»، أكتاب أم بنيان؟ وروي أنه قال: كل القرآن أعلمه إلا: الحنان، والأواه، والرقيم.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ قال: هم عجب. كذا روى ابن جريج عنه، وروى ابن نجيح عنه قال: يقول ليس بأعجب آياتنا. وقيل: بل معنى ذلك: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا، فإن الذي آتيتك من العلم والحكمة أفضل منه. وأما معنى الكلام فقال الطبري: «هو تقرير للنبي ﷺ على حسابه أن أصحاب الكهف كانوا

عجبا، بمعنى إنكار ذلك عليه، أي: لا تعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السائلون من الكفرة، فإن سائر آيات الله أعظم من قصتهم وأشنع، وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن إسحاق».

[جامع البيان 9 / 197].

رابعاً: لطائف وفوائد:

- التعبير بالجملة الاسمية في قوله: ﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ...﴾ أبلغ من التعبير بالجملة الفعلية؛ لما في الجملة الاسمية من الثبوت والاستقرار، فهو أبلغ من قوله: سنجعل، وأكد لجاعلون بلام التوكيد زيادة في الإثبات والتحقق.

- في الآيات إشارة إلى التزهيد في الدنيا والرغبة عنها، وتسلية للرسول ﷺ عن ما تضمنته أيدي المترفين من زينتها؛ إذ مآل ذلك كله إلى فناء وزوال، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْتَاهُ زُجْجًا ۖ إِنَّمَا مَتَّعْنَاهُمُ زُجْجًا ۚ وَلَبِئْسَ الْأَبْجَالُ الْغَيُولُ ۚ الدُّنْيَا ﴿١٢٩﴾ لَنَبْتَغِيَنَّكُمْ فِيهِ وَرِزْقِي رَبِّهَا خَيْرٌ وَأَبْغَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾

[طه: 129 - 130].

- في التعبير بـ ﴿أَحْسَنُ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ إرشاد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من همة عالية وحرص شديد على طلب الإحسان في كل شيء من المقاصد والأقوال والأفعال، فعلى قدر الإحسان تتفاوت مراتب العباد ومنازلهم عند الله تعالى.

- في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّآ بَلِّغُ نَفْسِكَ عِلْمًا ۖ إِنَّا نُرِيهِمْ...﴾، بيان لما كان عليه سيدنا محمد ﷺ من الشفقة على الخلق، والحرص على نجاتهم ومحبة الخير لجميع الناس، ورغبة في صلاح البشرية وانتفاعها بنور الوحي.

التقويم

1- ما الذي تدل عليه الآية الأولى من أخلاق النبي ﷺ؟ وما نظيرها في القرآن الكريم؟

2- ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؟

3- أيهما أبلغ، التعبير بالجملة الاسمية أم الفعلية؟ وما أثر ذلك في توجيه المعنى؟

الاستثمار

روى الترمذي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلَسٍ حَتَّى يَدْعُو بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ لِأَصْحَابِهِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوَنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مَصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تَسْلُطْ عَلَيْنَا مِنْ لَا يَرْحَمُنَا».

[سنن الترمذي: كتاب الدعوات - باب ما جاء في عقد التسبيح باليد ، حديث 2053].

1 - ما العبارة الواردة في الحديث ذات الصلة بالمقطع المفسر؟

2 - ما الحكمة من مداومة النبي ﷺ على هذه الدعوات؟

الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 10 - 12 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

1 - ما القراءات الواردة في لفظ ﴿رَشَدًا﴾؟

2 - ما المراد بالكهف من جهة اللغة؟

3 - أبحث عن مدلولات العبارات الآتية: رَشَدًا - بَصَرْنَا - أَحْجَلِي.